مزيَّة الأصل على الفرع في شرح المفصَّل لابن يعيش(٦٤٣هـ) في باب الحروف المختصة بالأسماء

هدى كاظم وحيد
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية

الأستاذ الدكتور صباح عطيوي عبود
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية
Sabah55@gmail.com

ملخص البحث

دأب النحويون منذ بداية التأليف النحوي على وضع مجموعة من القواعد والأحكام التي تسهل على الدارس معرفة أحكام هذه اللغة والغوص في بحورها، فكان من بينها مسألة الأصل والفرع، إذ حاولوا جمع المتشابهات في العمل في باب واحد وجعلوا لهذا الباب أمّاً انمازت عن سائر أخواتها بخصائص أهّلتها لأمية هذا الباب، ومن دراستنا لموضوع الأصل والفرع عند ابن يعيش في باب الحروف المختصة بالأسماء ثبت لنا بما لا يقبل الشك متابعة ابن يعيش لمَنْ سبقه في جعله البساطة في التركيب وكثرة الدوران في الكلام وسعة التصرف مزيّة للأصل على الفرع.

الكلمات المفتاحية: اصل، فرع، مزية، ام الباب، ابن يعيش.

Abstract

The grammarians established the rules of grammar to facilitate the process of learning the language. Accordingly, they bring together the grammatical aspects that share the same characteristics under one class and they make to each class a head which has some characteristics that distinguish it. Ibn Yae'esh followed the same route in distinguishing the head of the class.

keyword : Origin. Brach. Privilege. Umdoor.Ibn Yaeesh.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد الرسول الامين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين اجمعين، أما بعد

فيُعدّ الحرف القسم الثالث من أقسام الكلمة بعد الاسم والفعل[١]، ومما هو معلوم أنَّ النحاة قد قسَّموا الكلمة إمّا بحسب دلالتها على(اسم، وفعل، وحرف) أو بحسب حركة حرفها الأخير على(مبني، ومُعْرَب)[٢]، أمّا الحرف فهو ما وُضِع لمعنى في غيره[٣]، على العكس من الاسم الذي قد يستغني عن الفعل بنفسه والفعل الذي لا يستغني عن الاسم فهو مفتقرٌ إليه وفرعٌ عليه[٤]، ولمّا كانت الحروف قد وُضِعت لتدلّ على معانٍ في غيرها فهذا يعني أنَّها قد تدخل على الأسماء أو على الأفعال أو على كليهما، ومن هنا قُسِّمت على قسمين:(عاملة، وغير عاملة)[٥]، فأما الحروف العاملة فهي الحروف التي تختص بالدخول على الأسماء فقط مثل حروف الجر، وحروف القسم، والأحرف المشبهة بالفعل، أو قد تختص بالدخول على الأفعال فقط كحروف النصب والجزم والشرط وغيرها[٦]، فالحرف يعمل متى ما كان مختصاً[٧]، أمّا القسم الثاني من الحروف فهي غير العاملة التي لا تختص بالدخول على الأسماء أو على الأفعال بل تدخل عليهما معاً أي إنَّها مشتركة بينهما نحو حروف العطف والنداء والاستثناء والنفي وغيرها.

وبالنظر لأهمية هذه الحروف فقد أُلِف كثير من المصادر التي عُنِيت بدراستها، أمّا من ناحية العمل فَقُسِّمت على عوامل وهوامل، أو من ناحية التركيب فقُسِّمت إلى أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية، أمّا الزمخشري فقد قسَّمها من ناحية الاختصاص إذ بدأ بذكر الحروف المختصة بالأسماء ثم المختصة بالأفعال ثم المشتركة بينهما[٨] وتابعه ابن يعيش شارح

كتابه، ويبدو لي أنَّ هذا التقسيم هو الأنسب في الدراسة النحوية لقربه من منطق المنهج العلمي المُنظَّم في الدرس النحوي.

ونظرا لسعة باب الحروف، فقد اقتصرت في بحثي هذا على الحروف المختصة بالدخول على الاسماء فقط

ـ مزيّة الأصل على الفرع في باب الحروف المختصّة بالأسماء

أولاً: حروف الإضافة

سُمّيت هذه الحروف بحروف الإضافة؛ لأنَّها تضيف معنى الفعل إلى الاسم الذي بعدها، وتسمّى حروف الجرّ؛ لأنَّها تجرُّ ما بعدها من الأسماء، وتسمى حروف الخفض أيضاً[٩]، ولمَّا كانت هذه الحروف وسائط بين الأفعال والأسماء ومُوصِلة لمعاني الأفعال إلى الأسماء سمِّيت ظروفاً[١٠].

أما عن سبب عملها الجرّ فيرى النحويون أنَّ هذه الحروف لمَّا كانت مختصَّة بالدخول على الأسماء وجب أنْ تعمل، ولمّا كان إعراب الأسماء الرَّفع والنصب والجرّ وكان الفعل قد استأثر لقوته بالرّفع والنصب لم يبقَ إلا الجرّ فَعَمِلَتْهُ هذه الحروف، كما أنَّ الجرّ لمّا كان وسطاً بين الرّفع والنصب وكانت هذه الحروف وسطاً بين الفعل والاسم أعطي الأوسط الأوسط[١١].

قُسِّمت هذه الحروف بحسب عملها على قسمين[١٢]:

١ـ ما يعمل الجرّ فقط نحو:(مِنْ، وعلى، وإلىَ، والباء وغيرها).

٢ـ ما يعمل الجرّ والنَّصب وهي:(خَلَا، وعَدَا، وحاشا).

أما مَنْ جعلها على ثلاثة أقسام فقد اعتمد على الحروف نفسها من حيث الاسمية والفعلية والحرفية فكانت على ثلاثة أقسام هي[١٣]:

١ـ ما يكون حرفاً فقط، وهي:(مِنْ، والباء، وإلى، وحتى، و واو القسم وتاؤه، ورُبَّ، وفي، واللام).

٢ـ ما يكون اسماً وحرفاً، وهي:(عن، والكاف، ومُذ، ومنذ، وعلى).

٣ـ ما استعمل فعلاً وحرفاً، وهي:(خَلا، وعدا، وحاشا).

وأول حرفٍ من حروف الإضافة هو (مِنْ)، إذ أجمعَ النحويون على أنَّها أمّ الباب وإن لم يصرِّح بعضهم بذلك، غير أنَّ تصدّرَها في باب حروف الإضافة دليلٌ على ذلك[١٤] في حين صرَّح القسم الآخر منهم بأُمِيَّتها[١٥].

مزيَّة(مِنْ) الجارّة:

يرى ابن يعيش أنَّ(مِنْ) قد انمازت بخصائص استحقّت لأجلها أنْ تكون أمّ الباب، وهذه الخصائص هي:

١ـ كثرة دورانها في الكلام[١٦]: إذ إنَّ (مِنْ) هي أكثر حروف الجرّ استعمالاً في كلام العرب، وهذا الأمر يجعل منها أمّاً للحروف وأصلاً ومزيّة ولا شك في أنَّ ما كثرَ استعماله ودارَ في كلام العرب له فضيلة ومزيّة على غيره.

٢ـ سعة أقسامها: الملاحظ أنَّ(مِنْ) مقسومة على قسمين إذ نجد (مِنْ) الزائدة وغير الزائدة، وهذه مزيّة لها على غيرها فضلاً عن المزايا الأخرى.

أما(مِنْ) الزائدة فتزاد بشروط[١٧]:

أـ أنْ تكون مسبوقة بنفي، كقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[١٨].

ب ـ أنْ يكون مجرورها نكرة[١٩] كالآية السابقة.

وقد أجاز الكوفيون وتابعهم ابن جني زيادتها في الإيجاب بشرط تنكير مجرورها[٢٠] في حين أجاز الكسائي والأخفش[٢١] وابن هشام[٢٢] زيادتها بلا شرط ، وتابعهم ابن مالك وعلّل ذلك بثبوته نظماً ونثراً[٢٣]، وجعلوا منه قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢٤]، فـ (مِنْ) هنا مزيدة على رأيهم. في حين يرى الطبري أنَّ(مِنْ) هنا للتبعيض على أنَّ الله تعالى قد أخبر النبي محمّداً(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ببعض أخبار الرسل من قبله[٢٥]، ويبدو أنَّ هذا الرأي هو الأكثر مناسبة للآية الكريمة ذلك أنَّ الله تعالى قد قال في كتابه العزيز﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصنا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[٢٦]، أي إنَّه قد ذكر لنبيّه الكريم محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنَّه قد أرسل رسلاً من قبله إلى أممهم فمنهم مَنْ قصَّ عليه أخبارهم ومنهم مَنْ لم يقصص عليه أخبارهم[٢٧]، مما يدلّ بما لا يقبل الشّك على أنَّ الله تعالى لم يُخبر رسوله الكريم بأنباء الرسل جميعها، لذلك فإنَّ (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ للتبعيض وليست زائدة.

كما جعلوا منه قوله تعالى: ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّاتِكُمْ ﴾[٢٨]، على أنَّ (مِنْ) زائدة، في حين يرى الطبرسي أنَّ(مِنْ) هنا للتبعيض ذلك أنَّ« إسقاط العقاب تفضّل من الله تعالى فله أن يتفضّل بإسقاط بعضه »[٢٩]، أمّا مَنْ قال بزيادتها فإنَّه قصد بها التعميم أي أنَّه تعالى يسقط سيئاتكم جميعها ولذلك فكونها للتبعيض أولى، ومما يؤيد هذا ما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره إذ يرى أنَّ الصدقات لا تكفر الذنوب كلَّها ومن هنا كانت (مِنْ) تبعيضيَّة[٣٠]. وهذا كلّه يؤكد لنا صحة ما وضع من شروطٍ لزيادة (مِنْ) وانعدام هذه الشروط يخرجها عن كونها زائدة . مما سبق نجد أنَّ سعة أقسامها في الكلام مزيّة لـ(من) على سائر حروف الجر، قال ابن يعيش: « قد صدَّر صاحب الكتاب كلامه وابتدأه بـ(مِنْ) وهي مزيّة بالتقديم لكثرة دورانها في الكلام وسعة تصرّفها... »[٣١].

٣ـ تعدّد معانيها: كثرت معاني(مِنْ) غير الزائدة؛ الأمر الذي جعل لها مزيّة على غيرها من حروف الجر، وهذه المعاني هي[٣٢]:

أ ـ ابتداء الغاية: وأصل (مِنْ) أن تكون لابتداء الغاية، إلا أنَّهم اختلفوا في كونها غاية مكانية أو زمانية[٣٣]، فذهب البصريون إلى أنَّها وضِعت للدلالة على الغاية المكانية وجعلوا منه قوله تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[٣٤].

وذهب الكوفيون إلى أنَّها لابتداء الغاية الزمانية والمكانية وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾[٣٥]، فـ(مِنْ) هنا جرَّت قوله تعالى: (أوَّل) وبذلك تكون لابتداء الغاية الزمانية، في حين ذهب البصريون إلى تقدير مضاف محذوف فيكون التقدير:(مِنْ تأسيس أوَّل يوم)، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في لغة العرب ومنه قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[٣٦]، إذ حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وتقدير الكلام:(واسأل أهل القرية)، وبذلك تكون(مِنْ) لابتداء غاية المكان لا الزمان[٣٧]، كما جعلوا منه قول زهير بن أبي سلمى[٣٨]:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْرِ

فقوله:(ومِنْ دهر) شاهد على استعمال(مِنْ) لابتداء الغاية الزمانية وهو ما أنكره البصريون. إذ جعلوا (مُذ) في الزمان نظير (مِنْ) في المكان[٣٩].

ويبدو أنَّ ما قاله الكوفيون هو الأولى لانطباقه على الآية السابقة والشاهد الشعري، وما قاله البصريون فيه من التأويل والتقدير ما يجعل قبوله أمراً مرجوحاً. فضلاً عن أنَّ جعل(مُذ) في الزمان نظير(مِن) في المكان لا يقوم دليلاً قوياً على قصرها على المكانية. إذ قد تتعدّد معاني الحروف وتتسع استعمالاتها.

ب ـ أن تكون للتبعيض: ومنه قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾[٤٠]، أي: (بعضاً من أموالهم)[٤١] ، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤٢]، وعلامتها صحة إحلال(بعض) محلَّها[٤٣]. فـ(مِنْ) في كلتا الآيتين للتبعيض[٤٤].

ج ـ ومن معانيها أن تكون لتبيين الجنس، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[٤٥]، فـ(مِنْ) هنا لبيان الجنس[٤٦] وعلامتها صحة وضع(الذي) مكانها، ومنهم مَنْ يرى أنَّها لابتداء الغاية لأنَّه تعالى قد نهاهم عن الرجس عامة[٤٧]. وحُكِيَ عن الأخفش أنَّه ذهب إلى أنَّ(مِنْ) في الآية للتبعيض[٤٨] إلّا أنَّ رأيه هذا قد رُدَّ لأنَّه يقلب معنى الآية[٤٩]. فـ(مِنْ) هنا لبيان الجنس لأنَّ المقصود هو النهي عن الرجس عامة ومنهم الأوثان. تُزاد على ذلك معانٍ أُخر ذكرها النحويون كالبدلية والظرفية والتعليل وغيرها[٥٠].

٤ـ مما انفردت به(مِنْ) عن أخواتها جرّها ظروفاً لا تتصرَّف نحو:(قبل، وبعد، ولدى) ومنه قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[٥١]، وقد بُنيَّت على الضم (قبلُ) و(بعدُ) لعدم تمكنهما، فقطعتا عن الإضافة[٥٢]. وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾[٥٣].

مما سبق نجد أنَّ ما انمازت به(مِنْ) عن بقية أخواتها جعلها أولى حروف الإضافة بأميَّة هذا الباب مما جعل لها مزيّة على غيرها من الحروف. زيادةً على ما سبقَ يمكن القول إنَّ(مِنْ) وُضِعت للجرّ خالصةً فلم تخرج إلى غيره في العمل كـ (خلا) وأخواتها، إذ عَمِلت في باب الجر وباب الاستثناء. وهذه مزيَّة أُخرى انمازت بها عن باقي أخواتها في هذا الباب مما جعلها تستحق أميَّته.

ثانياً: حروف القسم

وهي خمسة: (الواو، والباء، والتاء، واللام، ومِنْ)[٥٤].

وعلى الرغم من أنَّها حروفٌ جارَّةٌ للقسم فإنَّ الزمخشري قد وضعها مع حروف الجرّ نظراً للأثر الإعرابي الذي تُحدثه حروف القسم وهو الجرّ[٥٥] إلّا أنَّ حروف القسم اختصَّت بالدخول على ألفاظ القسم فكانت أكثر تقييداً من حروف الجرّ.

مزيَّة (الباء):

ذهب النحويون إلى أنَّ الباء هي أصل حروف الجرّ في القسم وأمّ بابه[٥٦]، قال ابن يعيش: « أصل حروف القسم الباء، والواو مبدلة منها »[٥٧] على الرغم من كثرة استعمال الواو في لغة العرب وذهبوا إلى أنَّ(الواو) بدل منها لأنَّهما من مخرجٍ واحد[٥٨]،إلا أنَّ أبا حيان ردَّ على هذا الرأي بقوله: « والواو أصل وليست بدلاً من الباء خلافاً لزاعمه»[٥٩]؛ لأنَّ تقارب المخرج لا يوجب الإبدال[٦٠]. يُزاد على ذلك اختلاف معانيها فالواو لمطلق الجمعية والباء للإلصاق وهذا يمنع الإبدال بينهما[٦١].

وإنّما استحقت(الباء) أنْ تكون أصل حروف القسم لما انمازت به من خصائص انفردت بها عن باقي أخواتها وهذه الخصائص هي:

١ـ أنَّ أصل الباء أن تكون حرف تعدية، ولما كان فعلُ القسم فعلاً غير متعدّ وجب الإتيان بحرف يعدِّيه؛ أي يضيف فعل الحلف أو القسم إلى المحلوف به فاختاروا الباء مما جعلها أصلاً في هذا الباب[٦٢].

٢ـ انمازت الباء عن بقية أخواتها بدخولها على كلّ محلوفٍ به ظاهر أو مضمر،

أمَّا (الواو) فلا تدخل إلا على المظهر[٦٣]، ومنه قول عمر بن يربوع[٦٤]:

رَأَى بَرْقاً فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْر فَلاَ بِكِ مَا أَسَالَ وَمَا أَغَامَا

إذ جاء المحلوف به مضمراً مع الباء وتقدير الكلام: (فلا بحقك)، وأما الظاهر فقول ابن هرمة[٦٥]:

باللهِ ربِّك إنْ أتيتَ فَقُلْ لَهُ هذا ابن هرمة واقفاً بالبابِ

٣ـ انمازت(الباء) عن أخواتها بجواز إظهار فعل القسم معها أو حذفه[٦٦] مما جعل لها سعة في الاستعمال، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[٦٧]، فجاز إظهار فعل القسم، كما جاز حذفه في قوله تعالى:﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[٦٨]، في حين لا يجوز ذلك مع أخواتها، وعلّلوا ذلك بكثرة الاستعمال وإيثارهم التخفيف[٦٩]، إذ الباء عندهم أخف من الواو، وبذلك يكون« قد تقاصر الفرع عن درجة الأصل»[٧٠].

٤ـ إنَّ الأصل في حروف القسم أن تكون جارة لذا لم تخرج(الباء) عن بابها في كونها حرف جر فانمازت بهذا عن أخواتها، على حين نجد(الواو) مستعملة حرف عطف، و(اللام) و (التاء) لا تعملان في القسم إلا إذا تضمنتا معنى التعجب[٧١] فهذه قوة وأصالة لها في العمل.

٥ـ انمازت (الباء) عن أخواتها باستعمالها في الطلب والقسم الاستعطافي فلا يقسم فيه بغيرها نحو قولك: (باللهِ هل قام زيد) أي: أسألك بالله مستحلفاً[٧٢] وهو قَسَم غير صريح، لا يستعمل إلا في طلب معين ويُعْلَم أنَّه قسمٌ إذا تلاه ألفاظ القسم، نحو قولك: (عمرتك الله لا تطع هواك)[٧٣]، وجعلوا منه قول الأحوص الأنصاري[٧٤]:

عَمَرتُكِ اللهَ إلاّ مَا ذكرتِ لنا هلْ كُنْتِ جارَتَنا أيّامَ ذِي سَلَمِ

فقوله: (عَمَرتُكِ الله) قسم استعطافي معناه: سألتُ الله تعميرك[٧٥].

مما سبق نجد أنَّ ما انمازت به (الباء) من خصائص ـ ذكر ابن يعيش عدداً منها وذكر النحويون الآخرون عدداً آخر منها ـ مكّنتها من صدارة حروف القسم فكانت أمّاً لبابه .

ثالثاً: الحروف المشبهة بالفعل

وهي: (إنَّ، وأنَّ، ولكن، وليت، ولعلَّ)[٧٦]، تدخل على المبتدأ والخبر فتنصب المبتدأ اسماً لها، وأما رافع الخبر فمختلف فيه، أمّا الكوفيون فيقصرون عمل هذه الحروف على الاسم الأول فقط أمّا الثاني فهو باقٍ على حاله من الرفع قبل دخولها عليه فلا عمل لها فيه، في حين ذهب البصريون إلى أنَّها عاملةٌ في الاسمين فتنصب الأول وترفع الثاني[٧٧] .

وقد احتجَّ الكوفيون بأنَّ هذه الأحرف إنَّما عَمِلَت؛ لأنَّها أشبَهت الفعل فلما كان الفعل أصلاً في العمل كانت هذه فرعاً عليه[٧٨] فوجبَ أنْ تنحط عن درجته لضعفها فعملت في الاسم الأول فقط ولو أنَّها عملت في الاسمين لكان ذلك مساواة بين الأصل والفرع وهذا غير جائز[٧٩].

أما البصريون فاحتجوا لمذهبهم بأنَّ هذه الأحرف لمّا شابهت الفعل قويت في العمل، فلما كان الفعل يقتضي مرفوعاً ومنصوباً فإنَّ هذه الأحرف عملت النصب والرفع إلا أنَّهم قيَّدوا عملها بتقديم المنصوب على المرفوع حتى لا يُتَوهَّم أنَّها أفعال[٨٠]. وقد استدلوا على أنَّها عاملةٌ في الاسمين وإنْ كانت فروعاً، بعَمَل اسم الفاعل عمل الفعل وهو مشابه له فيرفع وينصب الفعل، زيادةً على أنَّ هذه الحروف تعمل النصب في الأول وإنْ فصلت بينها وبينه بظرف أو حرف جر[٨١] نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا ﴾[٨٢]، فـ(أنكالاً) اسم(إنَّ) منصوب وقد عملت فيه على الرغم من الفصل بينهما بـ(لدينا)، وكما عملت في الأوَّل فإنَّها عملت في الثاني الرفع؛ لأنَّها لمّا عملت النصب في الاسم الأول زال عنه الابتداء، وعلى مذهبهم أنَّ الخبر يرتفع بالمبتدأ فلما زال الابتداء عنه وجب أنْ يرتفع الخبر بعاملٍ آخر[٨٣] فوجب أنْ يكون مرتفعاً بـ(إنَّ) « إذ ليس في كلام العرب عامل يعمل النصب إلا ويعمل الرفع »[٨٤] وهذا يؤكد صحة مذهب البصريين فتكون(إنَّ) وأخواتها عاملةٌ في الاسمين معاً.

والذي يعنينا في هذا الباب ما انمازت به (إنَّ) من خصائص عند ابن يعيش حتى صارت أمّاً لباب الأحرف المشبهة بالفعل وهذه الخصائص يمكن إجمالها بالآتي:

١- إنَّ أغلب النحويين يصدِّرونها باب الأحرف المشبهة بالفعل[٨٥] وهذا دليل على أنَّها أصل هذه الحروف وأمّ بابها[٨٦].
قال ابن يعيش: « اعلم أنَّ هذه الحروف وهي إنَّ وأخواتها وهي ستة إنَّ وأنَّ ... »[٨٧] فتصدّرها عنده دليل على أميَّتها.
٢- انمازت (إنَّ) عن أخواتها ببساطة المعنى، فمعناها التوكيد فقط[٨٨] بخلاف أخواتها فـ(لكن) تفيد الاستدراك، و(كأنَّ) التشبيه، و(لعلَّ) الترجي و(ليت) للتمني إلى جانب معنى التوكيد فيهن[٨٩]، قال ابن يعيش: « لأنَّ المكسورة تدخل على المبتدأ وتؤكده ومعنى الجملة باقٍ... »[٩٠] فلما كانت تدلّ على معنى واحدٍ فقط فهي كالمفرد، وأخواتها تتضمن معنًى مركَّباً والمفرد أصل والمركَّب فرع عليه[٩١] فهذه أصالة إنَّ ومزيَّتها عليها.
٣- مما انمازت به(إنَّ) بساطة تركيبها، فلم يُذكر خلاف في تركيبها، أما سائر أخواتها فالأمر فيهن خلاف، فأما(كأنَّ) فقيل إنَّها مركّبة من(الكاف و إنَّ)[٩٢]، و(لكنَّ) مركّبة من(لكن وإنَّ) أو(لا وإنَّ)[٩٣] ، ولمّا كان البسيط أصلاً والمركَّب فرعاً عليه[٩٤]، حُكِمَ لـ(إنَّ) بأميّة هذا الباب[٩٥].
٤- انمازت (إنَّ) بدخول لام الابتداء على اسمها - إذا تأخّر - أو خبرها[٩٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾[٩٧]، فدخلت اللام على اسمها المؤخر، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾[٩٨]، وكان حقّ اللام أن تدخل على اسم(إنَّ) إلا أنَّ كلاً منهما تفيد التوكيد فكرهوا أن يتوالى حرفان لمعنًى واحدٍ فزُحلقت للخبر[٩٩]، وهذه مزيَّة لها على غيرها من الحروف المُشبَّهة بها.
٥- جواز حذف اسمها إذا كان ضميرَ شأنٍ[١٠٠]، وجعلوا منه قول الأخطل[١٠١]:

إنَّ من يدْخل الْكَنِيسَة يَوْمًا يلقَ فِيهَا جآذراً وظباءَ

وتقديره: (إنَّه مَنْ يدخل الكنيسة)، فيكون اسمها ضمير الشأن (الهاء)، وقصر ابن عصفور هذا في ضرورة الشعر[١٠٢].
أمّا إذا لم يكن اسمها ضمير شأنٍ فلم يجز حذفه لأنَّه مبتدأ(عمدة) والعمدة لا يحذف[١٠٣]، أما خبرها فيجوز حذفه إذا دلَّ عليه دليل[١٠٤] وجعلوا منه قول ابن قيس الرقيات[١٠٥]:

يَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا كَ وقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ: إنَّهُ

وتقديره: (إنَّه قد كان ذلك).
في حين ذهب ابن يعيش إلى أنَّ(إنَّ) بمعنى(أجل)[١٠٦]. وهو أولى من تقدير محذوف، إذ ذكر النحويون أنَّ(إنَّ) قد تأتي بمعنى (نَعَم)[١٠٧]، و(نَعَم وأجل) كلاهما حرف جواب فساغ ذلك.
٦- جواز العطف على موضع (إنَّ)؛ لأنَّها في الأصل موضع ابتداء فلما دخلت عليه لم تغيّر معناه[١٠٨]، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[١٠٩]، فـ(رسولُه) معطوف على محل (إنَّ) واسمها وهو لفظ الجلالة(الله)
لأنَّه مرفوع بالأصل(مبتدأ) قبل دخول(إنَّ) عليه[١١٠].

كما يمكن القول إنَّ كثرة استعمال(إنَّ) في القرآن الكريم إذ وردت في أغلب آياته وكذلك كثرة استعمالها في كلام العرب من نظمٍ ونثرٍ موازنةً بالأحرف الأخرى جعلها تستحق أنْ تكون أمّاً لباب الأحرف المشبهة بالفعل ولها مزيَّة عليها.

الهوامش

(١) يُنظر: الكتاب:١/١٢، والمقتضب:١/١٤١، والأصول في النحو:١/٣٦، والإيضاح:٧١، والمفصّل:٣٢.

(٢) يُنظر: دراسات نقدية في النحو العربي، لعبد الرحمن أيوب:٨.

(٣) يُنظر:المقتضب:١/١٤١، والمفصّل:٣٨٧.

(٤) يُنظر: أسرار العربية:٣١.

(٥) يُنظر: الأصول في النحو:١/٥٥، ومفتاح العلوم، للسكاكي:٩٧، والجنى الداني:٢٧.

(٦) يُنظر: علل النحو:٢١٧.

(٧) يُنظر: أسرار العربية:١٣٩.

(٨) يُنظر: المفصّل:٢٨٧.

(٩) ينظر:المقتضب:٤/١٣٦، وعلل النحو:٢٠٦، وشرح الرضي على الكافية:٢/١١٣٤، وشرح المفصّل:٨/١٦، وشرح التصريح:١/٦٣٠.

(١٠) يُنظر: إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر بن الأنباري:٢/٦٦٥، وترشيح العلل:١٩٧.

(١١) ينظر: علل النحو:٢٠٦، وأسرار العربية:١٣٩، وشرح المفصّل:٨/١٧.

(١٢) ينظر: الأصول في النحو:١/٤٠٨، وأسرار العربية:١٣٩.

(١٣) ينظر:المفصّل:٢٨٨، وشرح المفصّل:٨/٢١.

(١٤) ينظر:المقتضب:٤/١٣٦، والأصول في النحو:١/٤٠٩، والإيضاح:١٩٩، والمقتصد:٢/٨٢٣.

(١٥) ينظر: شرح المفصّل:٨/٢١، وشرح الأشموني:٢/٢٨٤، وشرح التصريح:١/٦٣٣.

(١٦) ينظر: شرح المفصّل:٨/٢١، والأمهات في الأبواب النحوية:٢٣٣.

(١٧) يُنظر: معاني الحروف، للرمّاني:٩٧، والمقتصد:٢/٨٢٤، وشرح المفصّل:٨/٢٤، والجنى الداني، للمرادي:٣١٧، وشرح ابن عقيل:٣/١٧.

(١٨) الأعراف:٥٩.

(١٩) يُنظر: إعراب القرآن للنحّاس:٢/١٣٤.

(٢٠) يُنظر: الخصائص، لابن جني:٣/١٠٦، والتمام، لابن جني:١٤٩، وشرح المفصّل:٨/٢٥، وشرح التصريح:١/٦٤٠.

(٢١) يُنظر: معاني القرآن:١/٣٦٥.

(٢٢) يُنظر: مغني اللبيب:١/٣٥٦، وشرح ابن عقيل:٣/١٧، وشرح التصريح:١/٦٤٠.

(٢٣) يُنظر: شرح التسهيل:٣/١٣٨، وشرح التصريح:١/٦٤.

(٢٤) الأنعام:٣٤.

(٢٥) يُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:٤/٣٥.

(٢٦) غافر:٧٨.

(٢٧) يُنظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٦/٤٤٦.

(٢٨) البقرة:٢٧١.

(٢٩) مجمع البيان:٢/١٦١.

(٣٠) يُنظر: البحر المحيط:٢/٣٣٩.

(٣١) شرح المفصَّل:٨/٢١.

(٣٢) يُنظر: المقتضب:١/١٨٢، ٤/١٣٦، ومعاني الحروف:٩٧، والمقتصد:٢/٨٢٣، وأسرار العربية:١٣٩، وشرح المفصَّل:٨/٢١، ورصف المباني، للمالقي:٣٢٢، والجنى الداني:٣٠٨، والأمهات في الأبواب النحوية:٢٣٣.

(٣٣) يُنظر: الإنصاف:١/٣١٧ رقم المسألة(٥٤)، وائتلاف النصرة:١٤٢.

(٣٤) الإسراء:١.

(٣٥) التوبة:١٠٨.

(٣٦) يوسف:٨٢.

(٣٧) يُنظر: الإنصاف:٣١٧ رقم المسألة:(٥٤)، والبحر المحيط:٥/١٠٢، وائتلاف النصرة:١٤٢.

(٣٨) ديوانه:٥٤.

(٣٩) يُنظر: الإنصاف:١/٣١٨ رقم المسألة:(٥٤).

(٤٠) التوبة:١٠٣.

(٤١) يُنظر: شرح المفصَّل:٨/٢٣، والبحر المحيط:٥/٩٩، وذهب المالقي إلى أنَّ (مِنْ) في الآية لبيان الجنس، يُنظر: رصف المباني:٣٢٣.

(٤٢) آل عمران:٩٢.

(٤٣) يُنظر: شرح الأشموني:٢/٢٨٧، والأمهات في الأبواب النحوية:٢٣٤.

(٤٤) يُنظر: البحر المحيط:٢/٥٤٦.

(٤٥) الحج:٣٠.

(٤٦) يُنظر: معاني القرآن للنحّاس:٤/٤٠، والبحر المحيط:٦/٣٤٠.

(٤٧) يُنظر: البحر المحيط:٦/٣٤٠.

(٤٨) يُنظر: شرح المفصَّل:٨/٢٣.

(٤٩) يُنظر: الجنى الداني:٣٠٨، ومغني اللبيب:١/٣٥٠.

(٥٠) يُنظر: الجنى الداني:٣٠٨، ومغني اللبيب:١/٣٤٩.

(٥١) الروم:٤.

(٥٢) يُنظر: معاني القرآن للأخفش:٢/٤٧٦، وارتشاف الضرب:٤/١٧٢١.

(٥٣) الكهف:١٠.

(٥٤) يُنظر: الجمل للخليل:١٨٧، والأصول في النحو:١/٤٣٠، والتَّبصرة والتَّذكرة: ١/٤٤٥، وشرح جمل الزجاجي للغافقي:٦١.

(٥٥) يُنظر: اسلوب القسم في القرآن الكريم، لعليّ بن محمّد الحارثي:٤(رسالة ماجستير).

(٥٦) يُنظر: المقتضب:٢/٣١٨، ومعاني الحروف:٣٦، والتَّبصرة والتَّذكرة:١/٤٤٥، وأسرار العربية:١٤٨، وترشيح العلل:٢٠٦، والإيضاح في شرح المفصّل:٢/١٥٤، وشرح الدماميني على مغني اللبيب:١/٣٩٢، والأمهات في الأبواب النحوية:٦٠، والحروف العاملة ووظيفتها في اللغة، د.صلاح عبد العزيز:٢١.

(٥٧) شرح المفصَّل:٨/٦٠.

(٥٨) يُنظر: المقتضب:٣١٨/٣، وأسرار العربية:١٤٨، وأسلوب القسم في القرآن الكريم:٣٤.

(٥٩) ارتشاف الضرب:١٧١٧/٤، وأساليب القسم والشرط في القرآن الكريم، لأحمد اللهيب:١٥،١٦(أطروحة دكتوراه).

(٦٠) يُنظر: أسلوب القسم في القرآن الكريم:٣٧.

(٦١) يُنظر: م.ن:٣٧.

(٦٢) يُنظر: أسرار العربية:١٤٨، وشرح المفصَّل:٦٠/٨، والإيضاح في شرح المفصَّل:١٥٤/٢، وشرح الجمل لابن عصفور:٥٥١/١، والصفوة الصفية:٣٢٤/١، وأسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية:٣١.

(٦٣) يُنظر: أسرار العربية:١٤٩، وترشيح العلل:٢٠٦، وشرح المفصَّل:٦١/٨، وشرح الجمل لابن عصفور:٥٤٩/١، والجنى الداني:٤٥، وشرح الدماميني على مغني اللبيب:٣٩٢/١، والأمهات في الأبواب النحوية:٦٤، وأسلوب القسم في القرآن الكريم:٣١.

(٦٤) يُنظر: نوادر أبي زيد:٤٢٢، وجمهرة اللغة، لابن دريد:٩٦٣، وسر صناعة الإعراب:١٠٤، وبلا نسبة في المخصص، لابن سيده:٥٢/٤.

(٦٥) في ديوانه:٧٠.

(٦٦) يُنظر: شرح المفصَّل:٦١/٨، وشرح التسهيل لابن مالك:١٩٩/٣، والجنى الداني:٤٥، والأمهات في الأبواب النحوية:٦٥، والحروف العاملة ووظيفتها في اللغة:٢١.

(٦٧) النحل:٣٨.

(٦٨) ص:٨٢.

(٦٩) يُنظر: علل النحو:٢١٣، وشرح المفصَّل:٦١/٨، والجنى الداني:٤٥، والأمهات في الأبواب النحوية:٦٥.

(٧٠) شرح المفصَّل:٦٣/٧.

(٧١) يُنظر: المقتضب:٣٢٣/٢، وشرح المفصَّل:٦٢/٨، والأمهات في الأبواب النحوية:٧٠.

(٧٢) يُنظر: همع الهوامع:٢٣٢/٤، والأمهات في الأبواب النحوية:٦٤.

(٧٣) يُنظر: شرح التسهيل لابن مالك:١٩٦/٣، والمساعد:٣٠٣/٢، وأسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية:٢١.

(٧٤) في ديوانه:٢٥٢.

(٧٥) يُنظر: شرح التسهيل لابن مالك:١٩٧/٣.

(٧٦) يُنظر: الكتاب:١٣١/٢، والمقتضب:١٠٧/٤، والمفصَّل:٢٩٦.

(٧٧) يُنظر: الإنصاف:١٦٠/١، رقم المسألة (٢٢)، والتبيين:٣٣٣، رقم المسألة (٥١)

(٧٨) يُنظر: اللباب:٢٠٩/١.

(٧٩) يُنظر: الإنصاف:١٦٠/١، رقم المسألة (٢٢)، والتبيين:٣٣٤، رقم المسألة (٥١)

(٨٠) يُنظر: الإنصاف:١٦١/١، رقم المسألة (٢٢)، واللباب:٢٠٩/١.

(٨١) يُنظر: الإنصاف:١٦١/١، رقم المسألة (٢٢).

(٨٢) المزمل:١٢.

(٨٣) يُنظر: الإنصاف:١٦٢/١ رقم المسألة: (٢٢).

(٨٤) الإنصاف:١٦٢/١ رقم المسألة: (٢٢).